الباب الأول

في

محبة النبي صلى الله عليه وسلم

وتعظيم أوامره

(أ) وجوب محبة الرسول ﷺ ولزوم الأدب معه

إن الله - ﷻ - افترض على عباده محبة رسوله ﷺ ، وسدَّ الطريق إلى جنته إلّا من سلك خلف رسول الله ﷺ ، وشرح له صدره ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره.

وقام الصحابة الكرام بلوازم هذه المحبة لرسوله ﷺ ، فَفَدَوْهُ بآبائهم وأمهاتهم وأبنائهم، وقاتلوا دونه ورفعوا رايته، وأعزوا سُنَّته، ونصروا شَريعته، وما فارق النبي ﷺ الدنيا حتى دانت له جزيرة العرب بالإسلام، ورفرف علم التوحيد على أقطارها، وواصل أصحابه الكرام والتابعون لهم بإحسان المسيرة بعده ﷺ ، يفتحون البلاد وقلوب العباد بلا إله إلا الله، وظهرت آيات الصدق والمحبة في أصحابه ﭫ ، وتابعيهم، فما أحوج المسلمين إلى الوقوف على بعض هذه المواقف الإيمانية التي تشحذ هممهم في التأسي برسول الله ﷺ ، والمسارعة في اتباع سنته، ولزوم شريعته.

ومحبة الرسول ﷺ عقد من عقود الإيمان، ولزوم سنته واتباع هديه علامة المحبة الصادقة لله - ﷻ - ولرسوله ﷺ ، كما أنه من أعظم أسباب محبة الله ﷻ.

قال الحسن البصري: ادّعى ناسٌ محبة الله ﷻ فابتلاهم بهذه الآية: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال الصحابة ﭫ : إنا نُحبّ ربنا حبًا شديدًا، فأحب الله - ﷻ - أن يجعل لحبه علامة فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقد دلّت أدلة الكتاب والسنة على وجوب محبة الرسول ﷺ أكثر من محبة الآباء والأبناء والناس أجمعين، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ

تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤]، ومعلوم أن الله - ﷻ - لا يتوعد أحدًا بمثل هذا الوعيد الشديد إلا على ترك واجب أو فعل محرم.

قال القاضي عياض: فكفى بهذا حضًّا وتنبيهًا ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ؛ إذ قرّع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وتوعدهم بقوله تعالى: ﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [التوبة: ٢٤]، ثم فسَّقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضَلَّ ولم يهده الله[(١)].

وقال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٦]، فهو أولى بنا من أنفسنا في المحبة ولوازمها.

وقال ﷺ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ والِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[(٢)].

قال القرطبي: كل من آمن بالنبي ﷺ إيمانًا صحيحًا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، غير أنهم متفاوتون، فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى، ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى، كمن كان مستغرقًا في الشهوات محجوبًا في الغفلات، في أكثر الأوقات، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبي ﷺ اشتاق إلى رؤيته، بحيث يؤثرها على أهله وولده وماله ووالده، ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة، ويجد مخبر ذلك من نفسه وجدانًا لا تردد فيه، وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره، ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر، لما وقر في قلوبهم من محبته، غير أن ذلك سريع الزوال بتوالي الغفلات، والله المستعان[(٣)].

---

(١) «الشفا» (٢/ ١٨).

(٢) رواه البخاري (١/ ٧٤، ٧٥) الإيمان، ومسلم (٢/ ١٥) الإيمان.

(٣) «فتح الباري» (١/ ٧٧).

وقال ﷺ: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمانِ، أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمّا سِواهُما، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلاّ لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَما يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النّارِ**»(١).

قال البيضاوي: وإنما جعلت هذه الأمور الثلاثة عنوانًا لكمال الإيمان؛ لأن المرء إذا تأمل أن المنعم بالذات هو الله تعالى، وأنه لا مانح ولا مانع في الحقيقة سواه، وأن ما عداه وسائط، وأن الرسول ﷺ هو الذي يبين له مراد ربه، اقتضى ذلك أن يتوجه بكليته نحوه فلا يحب إلا ما يحب، ولا يحب من يحب إلا من أجله، وأن يتيقن أن جملة ما وعد وأوعد حق يقينًا ويخيل إليه الموعود كالواقع، فيحسب أن مجالس الذكر رياض الجنة، وأن العود إلى الكفر إلقاء في النار(٢).

وعن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحبُّ إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: «**لا والذي نفسي بيده! حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك**»، فقال له عمر: فإنه الآن والله! لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي، فقال النبي ﷺ: «**الآن يا عمر!**»(٣).

ومحبة الرسول ﷺ على درجتين كما قال ابن رجب رحمه الله:

إحداهما: فرض: وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول ﷺ من عند الله، وتَلقيه بالمحبة، والرضا، والتعظيم، والتسليم، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية، ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه، من تصديقه في كل ما أخبر به، وطاعته فيما أمر به من الواجبات، والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات، ونصرة دينه، والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة، فهذا القدر لابد منه، ولا يتم الإيمان بدونه.

---

(١) رواه البخاري (١/ ٧٧) الإيمان، ومسلم (٢/ ١٣) الإيمان، والترمذي (١٠/ ٩١) الإيمان.
(٢) «فتح الباري» (١/ ٧٨).
(٣) رواه البخاري (٨/ ١٦١) الأيمان والنذور.

والدرجة الثانية: فضل، وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به، وتحقيق الاقتداء بسنته في أخلاقه وآدابه ونوافله وتطوعاته وأكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته لأزواجه، وغير ذلك من آدابه الكاملة، وأخلاقه الطاهرة، والاهتمام بمعرفة سيرته، وأيامه، واهتزاز القلب من محبته، وتعظيمه، وتوقيره، ومحبة استماع كلامه، وإيثاره على كلام غيره من المخلوقين، ومن أعظم ذلك الاقتداء به في زهده في الدنيا والاجتزاء باليسير منها، ورغبته في الآخرة[1].

لزوم الأدب مع رسول الله ﷺ:

فهذه المحبة المتعينة لرسول الله ﷺ تستلزم أدبًا معه ﷺ:

فمن ذلك توقيره ﷺ:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٨-٩]، فالتسبيح لله ﷻ، والتعزيز والتوقير لرسوله ﷺ.

وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وعرف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله التعزير والتوقير:

فقال في التعزير بأنه اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه.

والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه من كل ما يخرجه عن حد الوقار.

ومن الأدب معه ﷺ عدم رفع الصوت فوق صوته ﷺ:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢].

---

(١) «استنشاق نعيم الأنس» صـ(٣٤-٣٥) ط. مطبعة الإمام.

ومن ذلك عدم التقدم بين يديه:

فلا يقول قبل قوله، ولا يقدم قول غيره على قوله ﷺ كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١].

ومن الأدب معه ﷺ عدم جعل دعائه كدعاء الناس بعضهم بعضًا:

كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

وفي الآية قولان: أحدهما: لا تجعلوا نداءكم لرسول الله ﷺ كما ينادي بعضكم بعضًا.

الثاني: لا تجعلوا دعاء رسول الله ﷺ لكم، من جنس دعاء بعضكم، إذا شاء أجاب، وإن لم يشأ لم يجب، بل الأدب معه إذا دعاكم إجابته ﷺ.

ومن الأدب معه ﷺ أن أصحابه إذا كانوا معه لم يذهبوا حتى يستأذنوه:

كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٦٢].

ومن الأدب معه ﷺ التأدب في الحديث معه:

وذلك باختيار أحسن الألفاظ وأعذبها، وأرق المعاني وألطفها، وتجنب ما فيه جفاء أو إساءة أدب.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤].

ومن الأدب معه ﷺ الثناء عليه بما هو أهله:

ومن أفضل الثناء الصلاة والسلام عليه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرًا»(١).

ومن الأدب معه ﷺ نُصرة شريعته، وفداؤه ﷺ بالنفس والأموال والأولاد:

قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ [التوبة: ١٢٠].

وقسم بعض المعاصرين الأدب مع الرسول ﷺ إلى أدبٍ قلبي، وأدبٍ قولي، وأدبٍ عملي.

وذكر في الأدب القلبي: الإيمان بما جاء به ﷺ ومحبته.

وفي الأدب القولي: التأدب معه في الخطاب، والصلاة والسلام عليه.

وفي الأدب العملي: طاعته ﷺ، واتباعه والتأدب في مجلسه(٢).

(ب) وجوب طاعة النبي ﷺ واتباع سنته

دلت الأدلة المتواترة من الكتاب العزيز، والسنة المشرفة على وجوب طاعة الرسول ﷺ، والتزام أوامره، والاهتداء بهديه المبارك ﷺ، فمن ذلك قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٠].

---

(١) رواه مسلم (٤/ ١٢٨) الصلاة، والترمذي (٢/ ٢٧٠ عارضة) الصلاة، وأبو داود (١٥١٦ عون) الصلاة.

(٢) انظر: «التأدب مع رسول الله ﷺ في ضوء الكتاب والسنة» لحسن نور حسن (١٢٧-٢٥٦) ط. دار المجتمع للنشر والتوزيع.

وقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [مُحَمَّد: ٣٣]

وقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧١].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [النساء: ١٣].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

ومن ذلك قوله ﷺ: «**إنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ بدعة ضلالة**»(١).

ومن ذلك قوله ﷺ في حديث العرباض بن سارية: «**فإنه مَن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة**»(٢).

---

(١) رواه مسلم (٦/ ١٥٣)، الجمعة.

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٢٦، ١٢٧)، وأبو داود (١٢/ ٣٥٩، ٣٦٠ عون) السنة، والترمذي (١٠/ ١٤٤ عارضة) العلم، وابن ماجه (٤٣) المقدمة، والدارمي (١/ ٤٤، ٤٥) اتباع السنة، والبغوي في شرح السنة (١/ ٢٠٥)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني.

ومن ذلك ما رواه أبو موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا، فَقَالَ: يَا قَوْمِ، إِنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهْلِهِمْ، فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ، فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي، فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي، وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ**»(١).

وعن المقدام بن معد يكرب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ**»(٢).

وعن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك**»(٣).

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدِ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ**»(٤).

وعن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض الكتب قال: فغضب وقال: «**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً**»(٥).

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ٢٦٤) الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ومسلم (١/ ٧٠) الفضائل.

(٢) رواه أبو داود (٤٥٨٠ عون) السنة، وابن ماجه (١٢) وصححه الألباني.

(٣) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة (١/ ٢٧)، وقال الألباني: حديث صحيح رجاله ثقات على ضعف في أبي صالح، ولكن له متابع قوي.

(٤) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة (١/ ٢٨)، وأحمد (٢/ ٢١٠/ ١٨٨) وابن حبان (١/ ١٨٧ رقم [١١]) الإحسان، وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٥) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة (١/ ٢٧)، وقال الألباني: حديث حسن، إسناده ثقات غير مجالد وهو ابن سعيد فإنه ضعيف لكن الحديث حسن له طرق.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَن رَغِب عن سُنَّتي فليس مني**»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»(٢). وفي رواية: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرنَا فَهُوَ رَدٌّ**». والرد بمعنى المردود؛ أي: فهو باطل لا يعتد به.

آثار عن السلف الصالحين في وجوب اتباع سنة رسول الله ﷺ.

عن الحسن البصري قال: السُّنة والذي لا إله إلا هو بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم الله، فإنَّ أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكذلك إن شاء الله فكونوا.

وكتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يسأل عن القَدَر، فكتب:

«أما بعد، أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعدما جرت به سنته وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة فإنها لك - بإذن الله - عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعةً إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها؛ فإن السنة إنما سَنَّها من قد علم ما في خلافها، فَارضَ لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصرٍ نافذٍ كفوا، ولهم على كشف الأمور كانوا أقوى وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم: إن ما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم فإنهم هم السابقون، فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٩/ ٨٩، ٩٠) النكاح، ومسلم (٩/ ١٧٦) النكاح.
(٢) رواه البخاري (٥/ ٣٠١) الصلح، ومسلم (١٢/ ١٦) الأقضية.

من مقصر، وما فوقهم من محسر، وقد قصر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم»(١).

وقال الزهري: الاعتصام بالسَّنة نجاة؛ لأن السنة كما قال مالك: مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك.

وعن سفيان الثوري قال: استوصوا بأهل السنة خيرًا فإنهم غرباء.

وعن ابن شوذب قال: إن من نعمة الله على الشاب إذا نَسُكَ أن يؤاخِيَ صاحبَ سَّنةٍ يَحملُهُ عليها.

وعن المعتمر بن سليمان قال: دخلت على أبي وأنا منكسر فقال لي: مَالَك؟ قلت: مات صديقٌ لي، فقال: مات على السنةِ؟ قلت: نعم، قال: لا تحزن عليه.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من كان مُستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحيَّ لا تُؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الأمة؛ أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم كانوا على الهدى المستقيم.

وقال شريح: إن السنة قد سبقت قياسكم، فاتبع ولا تبتدع، فإنك لن تضل ما أخذت بالأثر.

وقال أُبيُّ بن كعب: إن اقتصادًا في سبيل الله وسنَّةٍ خيرٌ من اجتهاد في خلاف سبيل الله وسُنَّة.

---

(١) رواه أبو داود (٤٥٨٨ عون) وقال الألباني: صحيح مقطوع.
وقال شمس الحق أبادي: «فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عِصمة» أي: من الضلالة والمهلكات، وعذاب الله تعالى ونقمته، وقوله: «وقد قصر قوم دونهم» أي: قصر دون السلف الصالحين قصرًا أزيد من قصرهم، «فجفوا» أي: لم يلزموا مكانهم الواجب قيامهم فيه، «وطمح عنهم أقوام فغلوا» أي: ارتفع عن السلف أقوام، أي: شدَّدوا حتى جاوزوا فيه الحد، فهؤلاء أفرطوا وأسرفوا في الكشف، كما أن أولئك قد فرطوا وقتروا فيه، «عون المعبود» (١٢/ ٣٧٠).

وقال عبد الله بن المبارك: واعلم أخي أن الموت كرامة لكل مسلم لقي الله على السنة، فإنَّا لله وإنّا إليه راجعون، فإلى الله نشكو وحشتنا، وذهاب الإخوان، وقلة الأعوان، وظهور البدع، وإلى الله نشكو عظيم ما حلَّ بهذه الأمة من ذهاب العلماء، وأهل السنة، وظهور البدع.

وقال سفيان ليوسف بن أسباط: أي يوسف، إذا بلغك عن رجلٍ بالمشرق أنه صاحب سُنةٍ فابعث إليه بالسلام، وإذا بلغك عن رجل بالمغرب أنه صاحب سُنةٍ فابعث إليه بالسلام، فقد قلَّ أهل السنَّةِ والجماعةِ.

وعن سفيان قال: لا يُقْبلُ قولٌ إلا بعملٍ، ولا يستقيم قولٌ ولا عملٌ إلا بنية، ولا يستقيم قولٌ وعملٌ ونية إلا بموافقة السنَّةِ.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفِيتم.

وقال الإمام مالك رحمه الله:

وخَـيرُ أُمُـورِ الـدّيْـنِ مـا كـان سُـنّـةً ... وَشَـرُّ الأُمُـورِ المُحْـدَثـاتُ البَدَائع

(جـ) الدوافع إلى زيادة محبة النبي ﷺ واتباع سنته

لا شك في أن حب النبي ﷺ من الإيمان، والإيمان يزيدُ وينقصُ، وكلما ازداد إيمان العبد ازداد حُبه لرسول الله ﷺ، ولذا كان الصحابة رضي الله عنهم أبرَّ الأمة قلوبًا، هم أوفر الناس نصيبًا من هذه المحبة، فكانت محبتهم له ﷺ أكثر من محبة الآباء والأبناء والزوجات والأموال، وفدوه ﷺ بآبائهم وأبنائهم، وهذه صحابية جليلة قُتل يوم أحد أبوها وأخوها وزوجها فقالت: كيف فعل رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها: هو على خير ما تحبين، فقال: دعوني أنظر إليه، فلما رأته قالت: كلُّ مصيبة دونك جللٌ يا رسول الله.

ولما عُذِّب خبيب بن عدي رضي الله عنه قيل له: أتحب أن محمدًا مكانك، وأنك معافىً في أهلك ومالك؟ فقال: ما أحب أنني معافىً في أهلي ومالي ويُشاك محمد ﷺ بشوكة، أي: وهو أيضًا معافىً في أهله وماله.

وفي ذلك قيل:

أسَـــــرتْ قُـــريـــشٌ مُـسـلِـمًـا فَـمَـضَـى بِـلاَ وَجَـــلٍ إلَى الـسَّـيَّـافِ

سـألُـوهُ هـل يُـرْضـيـكَ أنّـك سـالمٌ وَلَـكَ الـنّـبيُّ فِـدىً مِـنَ الإتْـلافِ؟

فَـأجـابَ: كـلاَّ لاَ سَـلِـمْـتُ مِـنَ الـرَّدى وَيُـصَـابُ أنـفُ مُحـمّـدٍ بـرُعَـافِ

ووقاه طلحة بن عبيد الله يوم أُحد بيده فَشُلَّت يده.

فما هي الدوافع التي تدفع المؤمن إلى الزيادة في محبة النبي ﷺ واتباع سنته؟

١- زيادة محبة الله ﷻ:

لأن محبة النبي ﷺ من لوازم محبة الله ﷻ، وكلما ازداد حب العبد لله - ﷻ -، ازداد كذلك حبه لرسوله ﷺ.

وقد ذكر العلماء لمحبة الله - ﷻ - أسبابًا:

منها: قراءة القرآن بالتدبر.

ومنها: التقرب إلى الله - ﷻ - بالنوافل، بعد استكمال الفرائض.

ومنها: دوام الذِّكر بالقلب واللسان.

ومنها: إيثار محابِّه على محابِّك عند غلبات الهوى.

ومنها: مُطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومُشاهدتها، وتقلُّبه في رياض معانيها.

ومنها: مشاهدة بره وإحسانه، ونعمه الباطنة والظاهرة.

ومنها: الخلوة به وقت النزول الإلهي والإذن العام في الثلث الأخير من الليل.

ومنها: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب كلامهم.

ومنها: المباعدة عن كل سبب يحول بين القلب وبين الله ﷻ.

ومنها: انكسار القلب بين يدي الله ﷻ.

فمن هذه الأسباب العشرة، وصل المُحِبُّون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب.

٢- ومن ذلك معرفة النبي ﷺ، ودراسة شمائله، وشرف نسبه، وكريم خُلُقه:

وقد كان يكفي من عاصره ﷺ أن ينظر إلى وجهه الكريم فيرى علامات الصدق، وآيات النبوة.

قال حسان:

لَـو لَمْ تَـكُـنْ فِـيـه آيـات مُـبَـيّـنَـةٌ كَـانَـتْ بَـديـهـتـه تـأتـيـك بـالخبر

فمهما تعرَّف المسلم على النبي الكريم ﷺ، فإنه يزداد حبًا له، وتسليمًا لأمره.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٩].

فقد كان رسول الله ﷺ أكرم الناس خُلقًا، وأوسعهم صدرًا، وأصدقهم لهجة، وأكرمهم عشيرة، وأوفاهم عهدًا، وأوصلهم للرحم، قريبًا من كل بِرٍّ، بعيدًا عن كلِّ إثمٍ، لا يقول إلا حقًا، ولا يعد إلا صدقًا، جوادًا بماله.

فجدير بمن كان بتلك المنزلة أن تتوجه القلوب لمحبته، وكلما اطلع الإنسان على جوانب خُلُقه الكريم ازداد حُبًا له، ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم أكمل الأمة حبًا له لما شاهدوه وعاينوه من أحواله الشريفة، وأخلاقه الكريمة(١).

ولذا قال الله ﷻ حاثًا عباده على تدبر أحواله الداعية إلى مزيد من محبته والتسليم لأمره ونهيه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

(١) باختصار من «محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع» لعبد الرؤوف محمد عثمان (٦٦) ط. مكتبة الضياء.

٣- ومن ذلك دراسة تشريفات النبي ﷺ وما فضَّله الله به على سائر الأنبياء والمرسلين صلى الله عليهم وسلم أجمعين:

فمن ذلك أنه ساد الكل ﷺ كما في قوله ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ فَخْرَ**»(١).

ومن ذلك أن الله - ﷻ - غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كما قال تعالى: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [الفتح: ٢].

ومن ذلك أنه أول شافع وأول مشفَّع ﷺ.

ومن ذلك أنه صاحب المقام المحمود يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩]، والمقام المحمود هو الشفاعة العظمى.

ومن ذلك أن الله تعالى أقسم بحياته، ولم يقسم بحياة أحد من خلقه غيره ﷺ: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢].

ومن ذلك أن الله - ﷻ - وقَّره في ندائه، فناداه بأحب أسمائه وأسمى أوصافه فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ﴾، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ [المائدة: ٤١]، ونادى الأنبياء بأسمائهم الأعلام.

ومن ذلك أن الله ﷻ أمر الأمة بتوقيره واحترامه، وقد مضى شيء من ذلك في الأدب مع رسول الله ﷺ.

ومن ذلك أن الله - ﷻ - اختصَّه بمعجزة القرآن المبين، وهي باقية إلى يوم الدين، وله ﷺ كذلك من المعجزات الحسية ما فاق جميع الرسل.

فمن ذلك: حنين الجذع، ونبع الماء بين أصابعه، وتسليم الحجر عليه، وتكثير الطعام بين يديه، وانشقاق القمر له ﷺ.

ومن ذلك أن لكل نبي مثل أجر أمته؛ لأن من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تَبِعهُ، وأمته ﷺ خير الأمم، وهي نصف أهل الجنة.

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٧) الخصومات، ومسلم (١٥/ ١٣٣) الفضائل.

ومن ذلك أن الله - ﷻ - حفظ كتابه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وحفظ إجماع أمته فلا تجتمع على ضلالة، وحفظ طائفةً من أمته فلا تزال ظاهرة على الحق، ووهبه سبعين ألفًا من أمته يدخلون الجنة بغير حساب.

٤- ومما يدفع إلى مزيد حبه ﷺ معرفة شفقته على أمته ورحمته بهم:

كما وصفه الله - ﷻ - بقوله: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فمن ذلك أنه ﷺ آثر أمته على نفسه بدعوته، ففي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ - إِنْ شَاءَ الله تعالى - مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا**»(١).

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم: ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وقول عيسى عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨]، فرفع يديه وقال: «**أمتي أمتي**» ثم بكى، فقال الله تعالى: يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل له: إنا سَنُرضيك في أمتك ولا نسوءك»(٢).

ومن ذلك حرصه ﷺ على هداية أمته كما قال تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٣].

٥- ومن الدوافع إلى مزيد محبته ﷺ قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قال ابن كثير رحمه الله: المقصود من هذه الآية أن الله - سبحانه وتعالى - أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه في الملأ الأعلى عند الملائكة المقربين،

(١) رواه البخاري (١١/ ٩٦) «الدعوات»، ومسلم (١٣/ ٧٥) «الإيمان».
(٢) رواه مسلم (٣/ ٧٨) «الإيمان».

وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي(١).

وقال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»(٢).

وبعد، فهذه جملة الدوافع لمزيد من محبة النبي ﷺ، منها ما هو اعتقادي خبري كمعرفة شرفه وخلقه ونسبه، ومزيد شفقته وحرصه على هداية أمته، ومنها ما هو علمي عملي وهو السبب الأول والأخير، فالأخذ بالأسباب التي توصل إلى محبة الله ﷻ، وكذا اعتقاد شرفه ﷺ لإخبار الله - ﷻ - بصلاته وصلاة ملائكته وأمره - ﷻ - بالصلاة والتسليم عليه، وكثرة الصلاة عليه وتوقيره ﷺ واتباع سنته ومحبة الداعين إليها والعاملين بها من عوامل محبته ﷺ، فنسأل الله تعالى أن يزيدنا حبًا لنبيه ﷺ كما آمنا به ولم نره، وأن لا يفرق بيننا وبينه حتى يدخلنا مُدْخَله.

(د) مواقف إيمانية في محبة النبي ﷺ وتعظيم أمره

١- موقف علي رضي الله عنه ونومه في فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة المباركة:

قال ابن إسحاق: فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فقال: لا تَبِت هذه الليلة على فراشك الذي تبيت عليه، قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: نَمْ على فراشي وتسجَّ ببردي هذا الحضرمي الأخضر فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم، وكان رسول الله ﷺ ينام في برده هذا إذا نام.

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام فقال - وهم على بابه-: إن محمدًا يزعم أنكم إن تابعتموه

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٠٧) ط. دار المعرفة.

(٢) رواه مسلم (٤/ ١٢٨) الصلاة، والترمذي (٢/ ٢٧٠ عارضة) الصلاة، وأبو داود (١٥١٦ عون) الصلاة.

على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم، ثم جعلت لكم نارًا تحرقون فيها.

قال: وخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال: «**أنا أقول ذلك أنت أحدهم**» وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم، وهو يتلو هؤلاء الآيات: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾، إلى قوله: ﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [يس: ١-٩]، حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابًا، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب.

فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمدًا، قال: خيبكم الله! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلًا إلا وقد وضع على رأسه ترابًا، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليًا على الفراش متسجيًا ببرد رسول الله ﷺ فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائمًا، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام عليٌّ رضي الله عنه عن الفراش فقالوا: لقد كان صدقنا الذي حدثنا[1].

فهذا موقف إيماني من حيدرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وما أكثر مواقفه الإيمانية، وهو يعلم رضي الله عنه أن قريشًا تقصد رسول الله ﷺ يريدون أن يفرقوا دمه في القبائل، وقد أثبت الله - ﷻ - مكرهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ولكن النفوس تهون حتى ينجو رسول الله ﷺ، إنه الحب الذي ملأ قلوب الصحابة الكرام لرسول الله ﷺ، فهانت عند ذلك الأموال والأرواح فرضي الله عنهم أجمعين وجمعنا بهم في عليين.

(١) «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف» (٢/ ٢٢٢-٢٢٣).

٢- محمد بن مسلمة رضي الله عنه وقتله كعب بن الأشرف اليهودي لأنه آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللهَ وَرَسُولَهُ**»، فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله! أتحب أن أقتله؟ قال: «**نَعَمْ**»، قال: فَأْذَن لي أن أقول شيئًا، قال: «**قُل**»، فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا الصدقة وإنه قد عنَّانا، وإني قد أتيت أستسلفك، قال: وَأَيْضًا وَالله لَتَمَلُّنَّهُ، قال: إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقًا أو وسقين - وحدثنا عمرو غيرَ مرة فلم يذكر وسقًا أو وسقين - فقال: نعم ارهنوني، قالوا: أي شيء تريد؟ قال: ارهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟! قال: فأرهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال: رهن بوسق أو وسقين؟! هذا عار علينا، ولكنا نرهنك اللأْمَة، قال سفيان: يعني السلاح، فواعده أن يأتيه، فجاءه ليلًا ومعه أبو نائلة - وهو أخو كعب من الرضاعة - فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة - وقال غير عمرو: ورضيعي أبو نائلة - إن الكريم لو دعي إلى طعنةٍ بليلٍ لأجاب.

قال: ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين، قيل لسفيان: سماهم عمرو؟ قال: سمى بعضهم، قال عمرو: جاء برجلين، وقال غير عمرو: أبو عبس بن جبر، والحارث بن أوس، وعباد بن بشر، قال عمرو: جاء معه برجلين، قال: إذا ما جاء فإني قائل بشعره فأشمه، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه، وقال مرة: ثم أشمكم.

فنزل إليه متوشحًا وهو ينفح منه ريح الطيب فقال: ما رأيت كاليوم ريحًا - أي أطيب - وقال غير عمرو: قال: عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب.

قال عمرو: فقال: أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم، فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم، فلما استمكن منه قال: دونكم، فقتلوه، ثم أتوا رسول الله ﷺ فأخبروه(١).

وقد كان كعب بن الأشرف شاعرًا يهوديًا، وكان يهجو رسول الله ﷺ، وفي رواية جابر عند الحاكم في الإكليل: « فقد آذانا بشعره، وقوَّى المشركين» فلما طلب النبي ﷺ له فارسًا من الصحابة الكرام فرسان الإسلام، قام إليه محمد بن مسلمة رضي الله عنه، واستأذن النبي ﷺ في أن يعرِّض عليه بالكلام، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب، فأخبر كعبًا أن رسول الله ﷺ «قد عنانا» أي: أتعبنا وبلغ منا الجهد، هي تحتمل ما فهمه كعب من أنهم سوف يملون رسول الله ﷺ، وهي تحتمل أنهم يبذلون في الإسلام ويتحملون المشاق في سبيل الله عز وجل.

وقد روى ابن إسحاق أن النبي ﷺ مشى معهم إلى بقيع الغرقد، ثم وجههم فقال: «**انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم**» وقد ظهر في قصة قتل كعب توفيق الله - عز وجل - لمحمد بن مسلمة وصاحبيه، وإنما دفع الصحابة الكرام إلى هذه المواقف الإيمانية شدة محبتهم لرسول الله ﷺ، ومبادرتهم لتنفيذ أوامره.

وقال ابن إسحاق: رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشبب بنساء المؤمنين حتى آذاهم فقال رسول الله ﷺ كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة: «**من لي بابن الأشرف؟**» فقال له محمد بن مسلمة أخو بني الأشهل: أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله، قال: «**فافعل إن قدرت على ذلك**»(٢)، وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف وسلام بن أبي الحقيق.

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٣٩١) المغازي، ومسلم (١٢/ ١٦١-١٦٣) الجهاد والسير، وأبو داود (٢٧٥١ عون) الجهاد.

(٢) «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف» (٣/ ١٤٠).

لله درُّ عصابة لاقيتهم ... يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف

يسرون بالبيض الخِفاف إليكم ... فرحًا كأسد في عرينٍ معرفِ

حتى أتوكم في محل بلادكم ... فسقوكم حتفًا ببيضٍ ذفقِ

مستنصرين لنصر دين نبيهم ... مستصغرين لكلِ أمرٍ مجحفِ(١)

٣- موقف أبي بكر وعمر والمقداد وسعد بن معاذ رضي الله عنهم عندما استشار النبي ﷺ الصحابة الكرام للخروج إلى بدر:

قال ابن إسحاق في قصة الخروج إلى بدر: وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا بعيرهم فاستشار الناس، وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا هاهنا قاعدون، لكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ خيرًا ودعا له به.

ثم قال رسول الله ﷺ: «**أشيروا علي أيها الناس**» وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله، إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «**أجل**»، قال: لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق! لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما

(١) «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف» (٣/ ١٤٢).

تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسِر بنا على بركة الله.

فسُر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك، ثم قال: «**سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله كأني أنظر إلى مصارع القوم**»(١).

وإذا قارنت هذا الموقف الإيماني من الصحابة الكرام وقد لاقوا عدوهم على غير ميعاد، وقول بني إسرائيل لموسى عليه السلام عندما دعاهم إلى دخول الأرض المقدسة فقالوا: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، يظهر لك فضل الصحابة الكرام على أصحاب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد قال الله ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وإن كانت الآية عامة في الأمة، إلا أن الصحابة الكرام هم المشافهون بهذا الخطاب، ولاشك في أن الآية عامة، ولاشك كذلك في أن الصحابة الكرام هم خير هذا الخير، وقد قال عمر رضي الله عنه: نزلت فينا.

وهذه المواقف الإيمانية التي يوفق لها الصحابة الكرام ليس لها مثيل في أجيال الأمة، ولاشك في أن الدافع لها قوة الإيمان ومحبة الرحمن، واتباع شرع النبي ﷺ، وقد فاقت أمة النبي ﷺ سائر الأمم في الأحوال الإيمانية والعلم النافع والعمل الصالح، وفاق الصحابة سائر الأمة، فرضي الله عنهم وأرضاهم.

٤- موقف الصحابة الكرام وخروجهم إلى حمراء الأسد استجابة لأمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ.

لما عاد النبي ﷺ من أحد وقد قُتل من الصحابة رضي الله عنهم سبعين، وجُرح من جرح منهم، وأشيع بين الصحابة الكرام أن رسول الله ﷺ قد قتل فأثابهم الله - ﷻ - غمًا بغم، وعاد الصحابة الكرام رضي الله عنهم إلى المدينة بعد أن دفنوا الشهداء الكرام في مصارعهم ونَمَا إلى علم النبي ﷺ أن أبا سفيان بن حرب يفكر في

(١) «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف» (٣/ ٣٣-٣٤) ط. مكتبة الكليات الأزهرية.

أن يعود إلى المدينة من أجل أن يستأصل شأفة المسلمين ويبيد خضراءهم، فندب النبي ﷺ الصحابة للخروج واشترط أن لا يخرج معه إلا من خرج بالأمس.

فخرج الصحابة رضي الله عنهم استجابة لأمر الله - ﷻ - وأمر رسوله ﷺ على ما بهم من جراح، ومن حزن على القتلى تعظيمًا لأمر الله - ﷻ - وأمر رسوله ﷺ، وسجل الله - ﷻ - لهم هذا الموقف الإيماني في كتابه الخالد فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٣].

قال ابن إسحاق: فلما كان الغد يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال، أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو، فأذن مؤذنه أن لا يخرجن معنا أحدٌ إلا أحدٌ حضر يومنا بالأمس، فكلمه جابر بن عبد الله بن حرام فقال: يا رسول الله إن أبي كان خلَّفني على أخوات لي سبع، وقال: يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولست بالذي أُوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي، فتخلف مع أخواتك، فتخلفت عليهن، فأذن له رسول الله ﷺ فخرج معه، وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهبًا للعدو، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم[(١)].

٥- استجابة الصحابة الكرام لنداء العباس بأمر رسول الله ﷺ يوم حنين حتى تم للمسلمين النصر:

عن كثير بن عباس بن عبد المطلب قال: قال عباس: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد الله المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه، ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء

(١) «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف» (٣/ ١٧٣-١٧٤).

أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار، ولى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار، قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة أن لا تُسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**أي عباس! نَادِ أصحاب الشجرة**»(١)، فقال عباس- وكان رجلًا صيتًا- فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب الشجرة؟ قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك.. يا لبيك، قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار، قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج يا بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله ﷺ: «**هذا حين حمي الوطيس**»، قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حَصَياتٍ فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال: «**انهزموا وربِّ محمد**»، قال: فذهبت أنظر، فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فمازلت أرى حدَّهم كليلًا وأمرهم مدبرًا...(٢).

وكانت غزوة حنين مع قبيلة هوازن ومن معها، وكانت بعد فتح مكة وكانوا رماة، وكان بالمسلمين كثرة، فقال بعضهم: لن نهزم اليوم من قلة، فوكلوا إلى هذه الكلمة وقد خرج ناس منهم حُسَّرٌ، وكانت هوازن رماة فرموهم برشق من نبل، فولى الصحابة مدبرين، فأمر النبي ﷺ العباس أن ينادي على أصحاب الشجرة، فقالوا: يا لبيك يا لبيك، ثم نادى على الأنصار ثم على بني الحارث بن الخزرج من الأنصار، وهم يسرعون تلبية نداء منادي رسول الله ﷺ، فساق الله - ﷻ - لهم النصر، وفازوا بغنائم القوم، وانهزمت هوازن وفر بعضهم إلى الطائف وبعضهم إلى نخلة وإلى

---

(١) أي: أصحاب بيعة الرضوان تحت الشجرة بالحديبية وكانوا أربع عشرة مائة، وبايعوا على الموت، وعلم الله ما في قلوبهم من الإيمان والصدق فرضي عنهم، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**لا يدخل النار أحدٌ بايعَ تحت الشجرة**».

(٢) رواه مسلم (١٢/ ١١٣-١١٧) الجهاد والسير.

أوطاس، فرضي الله عن الصحابة الكرام ونفعنا بهذه المواقف الإيمانية في الاستجابة لأمر رسول الله ﷺ.

٦- موقف امرأة من الأنصار خطبها رسول الله ﷺ لجُلَيبيب رضي الله عنه:

عن أنس رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ على جليبيب رضي الله عنه امرأة من الأنصار إلى أبيها، فقال: حتى أستأمر أمها، فقال ﷺ: «**نعم إذًا**»، قال: فانطلق الرجل إلى امرأته، فذكر ذلك لها، فأبت أشد الإباء فقالت الجارية، أتريدون أن تردوا على رسول الله ﷺ أمره؟ إن كان رضيه لكم فأَنكِحُوه، قال: فكأنها جلت عن أبويها، وقالا: صَدَقْتِ، فذهب أبوها إلى رسول الله ﷺ فقال: إن كنت رضيته فقد رضيناه، قال ﷺ: «**فإني قد رضيته**» قال: فزوجها، ثم ذهب مع النبي ﷺ في غزاة فقتل، ورؤي حوله ناس من المشركين قد قتلهم، قال أنس: فلقد رأيتها وإنها لمن أنفق بيت في المدينة.

وفي رواية: «فما كان في الأنصار أيمٌ أنفق منها»(١).

وقال ابن الأثير: جُلَيبيب بضم الجيم على وزن قُنيديل، وهو أنصاري له ذكر في حديث أبي برزة الأسلمي، في إنكاح رسول الله ﷺ ابنة رجل من الأنصار، وكان قصيرًا دميمًا، فكأن الأنصاري أبا الجارية وامرأته كرها ذلك فسمعت الجارية بما أراد رسول الله ﷺ فتَلَتْ قول الله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقالت: رضيت وسلَّمت لما يرضى به رسول الله ﷺ، فدعا لها رسول الله ﷺ وقال: «**اللهم اصبب عليها الخير صبًا، ولا تجعل عيشها كدًا**»، فكانت من أكثر الأنصار نفقة ومالا(٢).

---

(١) «محاسن التأويل» (١٣/ ٢٦٢) والحديث رواه أحمد.

(٢) «أسد الغابة» لابن الأثير الجزري (١/ ٣٤٨) ط. الشعب، وانظر: «الإصابة» لابن حجر (١/ ٢٥٣).

فهذا موقف إيماني في حب رسول الله ﷺ والتسليم لأمره والرضا به، وبطل هذا الموقف امرأة من الأنصار، رضيت باختيار رسول الله ﷺ، وأنكرت على أبويها عدم الرضا باختياره ﷺ، وقد كان جليبيب قصيرًا دميمًا، ولكن الله - ﷻ - لا ينظر إلى صور العباد، ولكنه ينظر إلى قلوبهم وأعمالهم.

وقد كان جُليبيب جديرًا بهذه الأنصارية صاحبة الموقف الإيماني، فقد ورد له كذلك موقف إيماني في البذل والتضحية، فعن أبي برزة الأسلمي أن رسول الله ﷺ كان في مغزى له، فلما فرغ من القتال قال: «**هل تفقدون من أحدٍ؟**» قالوا: نفقد والله فلانًا وفلانًا، قال: «**لكني أفقد جليبيبًا**» فوجدوه عند سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتى النبي ﷺ فأخبر، فقال: «**قتل سبعة ثم قتلوه هذا مِنِّي وأنا منه**»، حتى قالها مرتين أو ثلاثًا، ثم قال بذراعيه فبسطهما فوضع على ذراعي النبي ﷺ حتى حفر له، فما كان له سرير إلا ذراعي رسول الله ﷺ حتى دفن وما ذكر غسلا[1].

وكان اللائق بقصة جليبيب المواقف الإيمانية في البذل والتضحية، ولكن آثرنا ذكرها هنا تبعًا لقصة زوجته الأنصارية، حتى يلتئم شمل القصة، والله الموفق للطاعات، والهادي لأعلى الدرجات.

٧- إنفاذ أبي بكر الصديق رضي الله عنه جيش أسامة تعظيمًا لأمر رسول الله ﷺ.

وقد أشار بعض الصحابة منهم عمر رضي الله عنه بعدم إنفاذه لارتداد من ارتد من العرب.

قال ابن كثير رحمه الله: فصل في تنفيذ جيش أسامة بن زيد، الذين كانوا قد أمرهم رسول الله ﷺ بالمسير إلى تخوم البلقاء من الشام، حيث قُتل زيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة، فيغيروا على تلك الأراضي، فخرجوا إلى الجرف، فخيموا بها، وكان

(١) رواه مسلم [٢٤٧٢] فضائل الصحابة، وقوله: «**هذا مني وأنا منه**» قال النووي: معناه المبالغة في اتحاد طريقتهما واتفاقهما في طاعة الله تعالى.

بينهم عمر بن الخطاب، ويقال: وأبو بكر الصديق، فاستثناه رسول الله ﷺ منهم للصلاة، فلما ثقل رسول الله ﷺ، أقاموا هنالك، فلما مات عظم الخطب، واشتد الحال، ونجم النفاق بالمدينة، ارتد من ارتد من أحياء العرب حول المدينة، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصدِّيق، ولم يبق للجمعة مقام في بلدٍ سوى مكة والمدينة، وكانت جويثًا من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحق كما في صحيح البخاري عن ابن عباس، وقد كانت ثقيف بالطائف ثبتوا على الإسلام، ولم يفروا ولا ارتدوا، والمقصود أنه لما وقعت هذه الأمور أشار كثير من الناس على الصدِّيق أن لا ينفذ جيش أسامة، لاحتياجه إليه فيما هو أهم، لأن ما جهز بسببه في حال السلامة، وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب، فامتنع الصديق من ذلك، وأبى أشد الإباء إلا أن ينفذ جيش أسامة، وقال: والله لا أَحِلُّ عقدة عقدها رسول الله ﷺ، ولو أن الطير تخطفنا والسباع من حول المدينة، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة، وآمر الحرس يكونون حول المدينة، فكان خروجه في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك، فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أرعبوا منهم، وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة، فقاموا أربعين يومًا ويقال: سبعين يومًا، ثم أتوا سالمين غانمين ثم رجعوا فجهزهم حينئذٍ مع الأحياء الذين أخرجهم لقتال المرتدة ومانعي الزكاة[1].

فهذا موقف إيماني من الصِّدِّيق الأكبر أبو بكر، وكان أَعْلَم الصحابة بمقاصد رسول الله ﷺ، وأكثرهم تعظيمًا لأمره، وقد ظن كثير من الصحابة منهم عمر رضي الله عنه أن عدم إنفاذ جيش أسامة إلى شمال الجزيرة هو الأفضل حتى يتفرغوا لقتال المرتدة، ولكن الصديق أَبَى أن يفُك عقدة عقدها رسول الله ﷺ، وكان من بركة تعظيمه لأمر رسول الله ﷺ أن تم ما قصده أبو بكر، وكذا أرهب جيش أسامة قبائل العرب، فعاد كثير منهم إلى الإسلام.

---

(١) «البداية والنهاية» (٦/ ٣٤٣) لابن كثير، ط. دار الفكر.

وهكذا التسليم لأمر النبي ﷺ وتعظيم سنته هو البركة والخير للمسلمين، وإن كانت العقول التي تقيس المصالح والمفاسد ترى غير ذلك، حتى صارت مصلحة الدعوة صنماً يعبد من دون الله، فيتهاون الناس في اتباع السنة وتعظيم ما عظمه الشرع، بدعوى مصلحة الدعوة، وأيُّ مصلحة في خلاف سنة رسول الله ﷺ وقد قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

٨- تفضيل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأسامة بن زيد على ولده عبد الله بن عمر لحب رسول الله ﷺ لأسامة وأبيه:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لما فرض عمر لأسامة بن زيد ثلاثة آلاف وفرض لي ألفين وخمسمائة، فقلت له: يا أبت لِمَ تفرض لأسامة بن زيد ثلاثة آلاف وتفرض لي ألفين وخمسمائة، والله ما شهد أسامة مشهدًا غِبت عنه، ولا شهد أبوه مشهدًا غاب عنه أبي قال: صدقت يا بني ولكني أشهد لأَبوه كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ من أبيك ولهو أَحَبُّ إلى رسول الله ﷺ منك»[1].

فهذا موقف إيماني من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يظهر فيه شدة محبة الصحابة الكرام لرسول الله ﷺ، وإيثار من هو أحب إلى رسول الله ﷺ.

(١) رواه الحاكم (٣/ ٥٥٩) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.